

جمال الإسناد المجازي في الخطاب القرآني وأغراضه البلاغية

دراسة بلاغية وصفية تحليلية

the beauty of Allegorical attribution in the Qur'anic discourse and its rhetorical purposes (A Rhetorical, Descriptive and Analytical Study)

Dr. Shabana Nazar

Assistant Professor, Department of Arabic the university of Bahawalpur.

Dr. Hafiz Shafiullah

Department of Arabic, University of Peshawer.

Dr. Muhammad Shuaib Yousaf

Department of Arabic, University of Peshawer.

Received on: 30-10-2021

Accepted on: 30-11-2021

Abstract

The Scholars, in this Article, intended to bring to light the cream of folk Literature of "Allegorical attribution (الاسناد المجازي)" in the Qur'anic discourse and its rhetorical purposes" by prescription and description of its properties and features. The Method followed in this research is "Rhetorical , Descriptive and Analytical Study" The Research is actually an investigated of Stylistic Features of Allegorical attribution. It will inspire readers to get recreated from the World best academic Treasury of Proverbs and Aphorisms having diversified forms. Moreover this Research will also appeal the Scholars who want to make further research in the Stylistic Study of Allegorical attribution. *As per our research, we studied all kinds of psychical Metaphor and I explained it with examples in the light of authentic books of rhetoric written by islamic scholars.*

Keywords: Allegorical attribution, Qur'anic discourse, beauty, miracle

ومن المعلوم أن الإسناد المجازي قسم من اقسام المجاز الذي هو من أهم الموضوعات التي ظفرت بعناية المشتغلين بدراسة القرآن سواء منهم من اهتم بقضية الإعجاز أو بالتفسير، وذلك بغرض تفهم الأساليب التي كثر ورودها في كتاب الله عزوجل ولفهم كثير من الآيات وتعرف وجوه الجمال والحسن فيها.

ومن المعلوم ومن المعلوم أيضا أن كتاب الله عزوجل حين استعمل الضروب المجازية لم يقصد لذاتها، بل لها أهداف وأغراض للغايات الكبرى، لذلك قام فكرة الباحث على تتبع مواضع التي ورد فيها الاسناد المجازي، ولا تقتف الباحث عند حدود إستخراج ضروب الاسناد المجازي بل يجب عليه بيان أهدافها وأغراضها وكذلك بيان وجوه تحسينها وغاياتها وأسراها وإعجازها في تحقيق المعاني القرآنية، والباحث يبحث عن جميع علاقات الاسناد المجازي من إسناد ما بني للفاعل إلى المفعول، وإسناد ما

بني للمفعول إلى الفاعل، الإسناد إلى المصدر، الإسناد إلى السبب، الإسناد إلى المكان، الإسناد إلى الزمان ومنهج البحث تحليلي بلاغي.

تعريف المجاز (لغة وإصطلاحاً) وأقسامه

المجاز وزنه مفعول واشتقاقه من الجواز، سمي به المجاز لأنهم جاز به عن موضع الأصلي¹. وفي إصطلاح التخاطب على قسمين: المجاز العقلي، والمجاز اللغوي، والأول هو موضوع البحث سنتكلم عنه بعد، والثاني: هو اللفظ المستخدم في غير ما وضع له في اصطلاح التخاطب لعلاقة بين الثاني والأول مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلي، كأسد استعمل للشجاع، وينقسم إستعارة المجاز اللغوي إلى: مجاز مرسل و مجاز استعاري ؛ لأن العلاقة المصححة للتجوز إن كانت غير المشابهة فمجاز مرسل، وإلا فاستعارة².

الإسناد المجازي:

يعرفه الخطيب القزويني قائلاً: (هو إسناد الفعل أو معناه إلى ملابس له غير ما هو له بتأول)³ ، وبذا يكون الفرق بين الإسناد الحقيقي والإسناد المجازي أنه في الحقيقي إسناد الفعل إلى ما هو له، وفي المجازي إسناده إلى ملابس له. وعند إسناد الفعل إلى الملابس لا بد أن يكون هذا الإسناد بتأول . وقوله بتأول يخرج نحو قول الجاهل " شفى الطبيب المريض ". فإن إسناد الشفاء إلى الطبيب ليس بتأول ولهذا لم يحمل قول الشاعر الحماسي:

أشباب الصغير وأفنى الكبير كر الغداة ومصر العشي⁴

قال الهاشمي: "المجاز العقلي: هو إسناد الفعل، أو ما في معنى الفعل إلى غير ما هو له في الظاهر، من حال المتكلم، لعلاقة مع قرينة مانعة أن يحمل الإسناد إلى ما هو له"⁵. وقال المراعي: "إسناد الفعل أو إسناده إلى ما في معنى الفعل إلى غير ما هو له في الظاهر من حال المتكلم مع وجود قرينة مانعة أن يحمل الإسناد إلى ما هو له، وما في معنى الفعل "⁶.

وهذا التعريف يشمل إلى إسناد الفعل المبني للفاعل إلى المفعول وما في معناه، وكذلك إسناد الفعل المبني للمفعول إلى فاعل، مما له علاقة به، كالفاعل والمصدر ونحوهما، وتوضيح هذه العلاقات في مجال الآيات القرآنية في ضوء التفاسير المعتمدة القديمة والحديثة مما يلي تفاصيله:

أولاً: الإسناد إلى السبب:

وهذه العلاقة وجدناه قوله تعالى: (فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورٌ)⁷ فأسندت زيادة النفور إلى النذير وهو ما سماه الزمخشري⁸ إسناداً مجازياً (لأنه هو السبب في أن زادوا أنفسهم نفوراً عن الحق وابتعاداً عنه)، والعلاقة السببية، وفي التجوز هنا بيان لأهمية النذير في زيادة نفورهم.

ومنه قوله تعالى : (وَإِذَا ثَلَيْتَ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا)⁹ فأسندت الزيادة إلى سببها وهو الإيمان وفي ذلك بيان لتوقفها عليه ، كما قال العز بن عبد السلام¹⁰.

ومنه قوله تعالى : (فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى)¹¹ ، وقد فسرهما الزمخشري بقوله: (فلا يكونن سببا لإخراجكما)¹²

أي أسند الإخراج إلى إبليس وهو سببه ، وفي ذلك إشعار بعظم ما اقترفه في حقهما حينما غرر بهما. ومنه في قول الله تعالى ايضا: ﴿..... وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ﴾ 13 في هذه الآية "اسناد مجازي" ونوعه الملايسة: السببية أسند الفيض إلى العين مجازا كسال الميزاب للدلالة على المبالغة كأن العين كلها دمع فائض. 14 وفي الآية الكريمة: ﴿..... فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ.....﴾ 15 اسناد مجازي ونوعه الملايسة: السببية ، فالمنع لسوالهم أن لا يجعلهم سبب فتنة، فتعدية فعل {تَجْعَلْنَا} إلضميرهم المخبر عنه بفتنة تعدية على طريقة المجاز العقلي وقال الألوسي: أي موضع فتنة بأن تسلطهم بنا ويجزينا بأيديهم أو يفتنوننا عن ديننا. 16 وفي قوله تعالى ايضا: ﴿..... وَصَافَتْ عَلَيْهِمُ أَنْفُسُهُمْ﴾ 17 اسناد مجازي ونوعه الملايسة هو السببية والتعبير عنها بالقلوب على سبيل المجاز لأن قيام الذات بها، ومعنى ضيقها حزنها كأنها لا يتسع أي : إمتلأت قلوبهم بفرط الحزن و الغم بحيث لم يبق فيها ما يسع شيئاً من الراحة، وقال ابن عطية ﴿وضيق الأرض﴾: هذه استعارة، أي حتى كانت الأرض كالضيقة عليهم. و هذا التشبيه كناية عن خزنهم وكما قال الطرماح: ملأت عليه الأرض حتى كأنها ... من الضيق في عينيه كفة حابل. 18

ثانيا: الإسناد ما بني للفاعل إلى المفعول:

وجدنا هذه العلاقة للمجاز العقلي في قوله تعالى: ﴿..... فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنَّ.....﴾ 19 أسند الفعل المبني للفاعل إلى المفعول لأن النبات لا يوصف بالحصيد بل يوصف بالحصود. والحصود في الحقيقة هو الزرع المقطوع والتعبير عن الأرض بحصيد من باب المجاز العقلي لأن الحصود نباتها. 20

ثالثا: الإسناد ما بني للمفعول إلى الفاعل

وقد ورد هذا النوع في القرآن: قوله جل وعلا : (أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهَدَىٰ فَمَا رَبَحَتِ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ). 21 فالتجارة ليست هي الفاعل الحقيقي للفعل المنفي "ربح" وإنما أسند إليها لتلبسه بها من حيث وقوعه عليه، والأصل "فما ربحوا في تجارتهم"، والتجوز هنا بإسناد الربح المنفي إلى التجارة أفاد مثلما قال أبو السعود : (المبالغة في تحسيرهم لما فيه من الإشعار بكثرة الخسار وعمومه) 22

ووجدناه في قوله تعالى : (فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ) 23 قيل : (أي جد والجد . أي الاجتهاد . لأصحاب الأمر إلا أنه أسند إليه مجازا) 24 ، والأسلوب الحقيقي هو: فإذا عزم الإنسان على الأمر، والعلاقة فاعلية وقد حقق الأسلوب المجازي دلالة أن الأمر واقع لا محالة.

3. وقوله تعالى : (وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا) 25 ويرى الزمخشري أن قوله تعالى " حجابا مستورا " كقولهم "سيل مفعم" 26، أي من إسناد اسم المفعول إلى الفاعل فيكون على ذلك أنه قد أسند اسم المفعول "مستورا" إلى ضمير الفاعل لأن الحجاب يكون ساترا وليس مستورا. ويفيد الإسناد هنا المبالغة في وصف (كبراء قريش الذين يستمعون إلى القرآن ولكنهم يجاهدون قلوبهم ألا ترق له ويمنعون فطرهم أن تتأثر به) 27

ووجدنا في قوله تعالى: ﴿قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ.....﴾ 28 اسناد مجازي ونوعه الملايسة المفعولية . أسند الفعل المبني

للمفعول إلى الفاعل. هنا عاصم بمعنى معصوم أي لا معصوم اليوم كما قال تعالى في مقام آخر ﴿من ماء دافق﴾²⁹, أي من ماء مدفوق , وقال الشوكاني : "عاصم بمعنى معصوم مثل ماء دافق أي مدفوق." 30

قال الزمخشري: "وذلك لما صعد الى الجبل ظنا أنه يعصمه من الإغراق في الماء فقال له أبوه : لا عاصم اليوم فلا يعصمك أحدا إلا الله وحده." 31 وقال الخفاجي: " والمراد هنا المعصوم فهو مصدر عصم المبني للمفعول . " 32 وفي قوله تعالى: ﴿..... ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ﴾ 33 وجدنا مجازان عقليان وهما: في قوله تعالى: ﴿ ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ ﴾ وفي قوله تعالى: ﴿ ذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ ﴾ ونوعهما الملايسة هو المفعولية جعل مجموع ومشهود صفات اليوم مجازا , واليوم لا يوصف بهذين الصفتين فالحذف والتقدير أى يوم يجمع له الناس وذلك يوم يشهد له الناس للحساب وقال الألوسي : " ذلك إشارة إلى يوم الحساب الدالة عليه بذكر الآخرة ﴾ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ ﴾ أي يجمع له الناس للمحاسبة والجزاء." 34

رابعا: الإسناد إلى الزمان:

وأیضا في قوله تعالى: ﴿... وَالتَّهَارُ مُبْصِرًا.....﴾ 35 ونوع الملايسة هو الزمانية. وصف النهار بمبصر مجازا عقليا للمبالغة لأن الإبصار يحصل في النهار والنهار لا يوصف بالمبصر بل يوصف به الناس كما قال العرب: "نهاره صائم وليله قائم" أي صام في نهاره وقام للنوافل في ليله. 36 وكقول ابن جرير: لقد ملتنا يا أم غيلان في السرى ... ونمت وما ليل المطي بنائم" 37 وفيه تنبيه على كمال قدرته وجلال عظمته الدالة على وحدانيته , أن خلق لكم الليل راحة لكم من النصب في طلب المعاش, وجعل النهار نورا وضياء لكم لتصلوا فيه إلى حوائجكم.

وفي الآية الكريمة: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمِ أَلِيمٍ﴾ 38 مجاز عقلي ونوع الملايسة هو الزمانية. جعل الظرف موضع الفاعل لكثرة وقوع الفعل فيه لذا أسند إليه (الى اليوم) ما يسند إلى الفاعل (الله تعالى) لأن اليوم لا يوصف بالأليم لأن الأليم هو الله وحده تعالى بل يوصف اليوم بالمؤلم من باب الإسناد المجازي. 39

كان قوم نوح عليه السلام يعبدون الأصنام , والأوثان وغيرها فأرسل الله إليهم عبده نوح عليه السلام , يدعوهم إلى عبادة الله وتوحيده، فقال لهم: أنذركم عذاب الله وبأسه إن أنتم عبدتم غير الله وقع عليكم عذاب يوم أليم.

خامسا: الإسناد إلى المصدر:

وجدنا هذا النوع في قوله : (أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ) 40 ويقف الألوسي عند الآية فيقول: (... أسند فيها إلى المصدر ما هو لصاحبه مجازا كجد جده إلا أن الفرق بين ما نحن فيه وذلك أن المسند إليه في الأول مصدر غير المسند وفي ذاك مصدره وليس بينهما بعد) 41.

وفي قوله تعالى: ﴿..... وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ﴾ 42 وجدنا اسناد مجازي، ونوع الملايسة هو المصدرية. نزل المصدر منزلة الفاعل أي وجاءته البشير يجادل رسلنا في حالهم وشأنهم. 43

لما أتى الملائكة ببشارة الولد، والإخبار بهلاك قوم لوط عليه السلا وهو أخذ يجادل في إهلاك قوم لوط عليه السلام فهو

مجادلتهم مجادلة لله لأنهم رسل الله وجاؤوا بأمره تعالى وهي من باب الإسناد المجازي .

وفي قوله تعالى ايضا: ﴿وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾ 44 وجدناها، نزل المصدر منزلة المفعول مجازا في قوله تعالى (بدم كذب) لأن الدم لا يوصف بالكذب ، المصدر

هنا مستعمل في معنى المفعول كإستخدام معنى الخلق بمعنى المخلوق. 45

حينما رجع أبناء يعقوب عليه السلام إلى البيت في ظلمة الليل، جعلوا يتبادرون على أحدهم في البكاء معتذرين قائلين كنا ذهبنا نتسابق ونتراعى بالنبال، وتركنا يوسف حارسا لمتاعنا فأكله الذئب، ونحن نعلم أنك لا تصدقنا- ولو كنا صادقين موثوقين عندك، فأجاب لهم أبوه يعقوب عليهم السلام: بل سولت لكم أنفسكم أمرا منكرا ، فسأصبر صبرا جميلا، وقال الزمخشري " لما سمع يعقوب عليه السلام خبره فصاح بصوته الأعلى وقال اين قميصه فألقاه على وجهه حتى خضب وجهه بدم القميص وكان مليئا من شدة غم ابنه يوسف عليه السلام. 46

سادسا: الإسناد الى الظرف:

في قوله تعالى: ﴿وَالِإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُحِيطٍ﴾ 47 جعل الظرف موضع الفاعل لكثرة وقوع الفعل فيه لذا أسند إليه (الى اليوم) ما يسند إلى الفاعل (الله تعالى) لأن اليوم لا يوصف بالإحاطة بل هنا لفظ "المحيط" وصف "يَوْمٍ" على سبيل المجاز العقلي، أي محيط عذابه، لأن المحيط هو الله وحده تعالى. والقرينة عليه إضافة العذاب إليه.

فيه دعوة شعيب عليه السلام لأهل مدين، وردة عليهم، فقال: يا قوم وحدوا الله، ولا تخسروا في المكيال والميزان، وأخشي عليكم عذاب يوم محيط فلا مخرج له ولا يترك أحدا منكم إلا من أتاه بقلب سليم، وذلك إما عذاب الإستئصال في الدنيا، وإما عذاب الآخرة. 48

وفي قوله تعالى ايضا: ﴿..... يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَحْصِنُونَ﴾ 49 مجاز عقلي ونوع الملابس هو الظرفية نزل الظرف منزلة المفعول، نزل أكل أهلهم مسندا إليهم لأن السنين لا توكل وإنما يأكل الناس ما ادخروه فيها. 50

خلاصة البحث

لا شك فيه أن القرآن الكريم فيه خزائن العلم وذخائر الفنون البلاغية والأدبية منها كلمة المجاز العقلي، وهي كسائر كلمات القرآنية البحر العميق فلا مخلص أن نضيئ كل ناحية من هذه الكلمة التي غطيت بمرور الزمن أو مجهول لأجل التسامح وعدم التوجه إليها وفي خاتمة الرسالة توصلنا إلى عدة نتائج من أهمها نذكر في النقاط التالية:

- 1- استخدم هذا اللون من الإسناد لإفادة عدد من الأغراض البلاغية ، ومنها : بيان الأهمية والمبالغة والإيجاز والتوكيد وغيرها من الأغراض أن القرآن لا يستخدم الأسلوب إلا لسبب يتصل بالمبالغة
- 2- المجاز العقلي قام على بيان الذم والتحذير، ومثاله : حينما رجع أبناء يعقوب عليه السلام إلى البيت في ظلمة الليل معتذرين قائلين كنا نتسابق ونتراعى بالنبال، وتركنا يوسف عند متاعنا فأكله الذئب.....

- 3 - الإسناد المجازي أنيق من الحقيقة في الوصول إلى ذهن المتلقي.
- 4 - الإسناد المجازي محل لكشف فهم بيان القرآن الكريم وإدراكاته.
- 5 - لغة القرآن الكريم أوفق على سائر اللغات العالمية من جهة وصوله إلى المعنى بطريقة دقيقة فاقت سمو الفكر الإنساني فهو أسمى من أن يكون فكر بشري ولهذا كان المجاز وجهها من وجوه المجاز القرآني.
- 6 - لا ينكر عن وجود المجاز في القرآن الكريم نظره أو رأيه مبني على التسامح، ورأيه خلاف الواقع لخوفهم على القرآن الكريم والتطاول عليه لكون المجاز هو الابتعاد من الحقيقة.

References

- 1 - uloom al balagha, albayani, almaani, albadia, Ahmad bina Mustafa al maraie: 1:1:248
- 2 Albalaghat al Arabia, Abdurahman bina Hasan Almaidani, dar ul qalam Dameshq, bairut first edition vol: 2: 219
- 3 - al-edah: 1: 98 .
- 4 - sharh deewan al humasah , abu tamaam , vol: 3: 849
- 5 Jawaher ul balagha fi almani wa albayani wal badi, Ahmad mustafa alhashami, maktabat ul asaaria, Bairut: 1: 255
- 6 uloom ul balagha : 1: 248
- 7 Fatir: 42
- 8 - alkashaf: 3: 278.
- 9 Anfal: 2
- 10 Al-ishara ilalijaz: 46
- 11 - taha: 117
- 12 Alkashaf 2: 449
- 13 Tawba: 92
- 14 alkashaaf: 2: 302
- 15 younas: 85
- 16 ruhulmaani: 6: 159
- 17 tawba: 118
- 18 deewan al turmaah: 100
- 19 younas: 24
- 20 altahrir wa altanwir, ibne Aashor: 11: 62
- 21 Albaqara: 16
- 22 Irshad ul aql assaleem: 1: 59
- 23 Muhammad : 21
- 24 - Kashaf: 2: 363
- 25 Al- isra: 45
- 26 - fi zelal al qurqn, saia kutab: 5: 40
- 27 Almuharar alwajiz: 12: 29
- 28 Hood: 43
- 29 Tariq: 6
- 30 Fathulqadir: 3: 449
- 31 Kashaaf: 2: 397
- 32 Hashiat al shehab al hufaji: 5: 99

-
- 33 Hood:103
34 Ruholmaani:6:232
35 younas:67
36 Ruholmani:4:34
37 Diwan ibne jarir:673
38 Hood:26
39 Ruholmani:6:236
40 Ibrahim:3
41 Ruhulmaani:13:184
42 Hood
43 Tafsir abu saud:3:371
44 yousaf:18
tebyaan fi irab al quran:2:226-Al 45
46 Kashaaf:2:451
47 Hood:84
48 Qartabi:9:84
49 Yousaf:22
50 Nazm al durar fi tanaasub al Aayaat wa al suwar,Burhan ul din albaqaie first edition,dar ul kutab al
ilmia,bairut:4:51